ضحى الاســـلام

أو

أحمـــد أمين

— ١ —

اذا قرأت ضحى الاسلام عرفت احمد أمين ، واذا عرفت احمد أمين فكأنك قرأت ضحى الاسلام . وكمال المعرفة بالاثنين أن تفهمهما معا . لأنك لاتجد تلازما بين شيئين أشد مما هو بين هذا الرجل ومايكتب . فاذا ألف كتابا أوأنشأ مقالا أوترجم فصلا ظل باقيا وراء كلماته ، وخلال سطوره ، يعرض عليك الصور ، ويقرر لك الآراء ، بطلعته الباسمة فى غير افتراز ، ولهجته الحازمة فى غير أمر ، وعقله القوىّ فى غير عنف ، وطبعه الحيي فى غير ضعف ، وأسلوبه الهادئ فى غير فتور فلا تدرى أتقرأ أم تسمع . وكتاب فى يدك أم رجل معك !

وهو فى بروز الشخصية العلمية يتفق مع صديقه طه ، ثم يختلف بعد ذلك عنه فى كل شيء .

نادر يجره الاملاء ، وتجرفه شدة الحركة ، ومذهب جديد كثر فى ناشئة الكتاب من يحاول الجرى عليه .

ان فى هذا الكتاب صفحة ضاقت بمايضيق به القلب الصديق! نشرتها ظروف وستطويها ظروف ، وسيطيل النظر فيها من يعنى بفهم هذه النفس الكبيرة على حقيقتها ، ودرس ما تأثر به من العوامل فى بيئتها . وان فى هذا الكتاب صفحات على نحو ما فى (الأيام) من ذكريات الأزهر ، وأحاديث اخوان الصفا من طلابه ، وألاف الجنود من شيوخه . ولن يتذوق ما فيها من جمال الفن الا من حيي هذه الحياة وشعر هذا الشعور . وان فى هذا الكتاب صفحات خالدات لن تجد كثيرا من أمثالها فى الأدب العالمى ! تلك ما كتبت عن فرنسا عامة وعن الأزهر خاصة .

أما التحليل والتمثيل فلن يغنياك عن قراءته شيئا . وفى اعتقادى أن خير ما يسر به الانسان نفسه أن يغيب عن دنياه فى دنيا هذا الكتاب ساعة أو ساعتين !

الزيات

استن الجاحظ فى أدبنا القديم ، واحمد أمين فى أدبنا الحديث . ثم قل بعد ذلك فيما يشبه التعميم : ان كل كتاب منى أخرجه الى الناس مؤلفه ، يكاد من وهن الصلة به لا يعرفه . وانما تظل مسائله فى فلقها أشبه بالطيور المفروصة ، لاتفتأ نزاعة الى الجو الذى عاشت فيه ، والى الوكر الذى أخذت منه . فاذا كثر الحديث عن احمد أمين منذ ظهر فجر الاسلام ، واستفاض هذا الحديث عنه منذ نشر ضحى الاسلام ، فذلك لأن هذين الكتابين وحدهما فتح فى الآداب العربية ، ونصر للعقيدة الاسلامية ، ويحد للعقلية المصرية ، لم يبهتهما الله فى الغابر والحاضر لمؤلف الاعلى يداحمد أمين .

ومعاذ الله أن نهجم على الحق وندخل على القارىء رأى لا يقره الضمير ولا يرتضيه العلم ، فقد قضينا العمر بين أشتات المؤلفات العربية ، نكابد ما يكابد غيرنا من تناقض وتعارض وغموض ، ثم عالجنا التأليف وبلونا مايعانيه ناشد العلم فى يد دونها يد ، ثم قرأنا هذين الكتابين فأكبرنا فيهما الجهد الذى لا يكل ، والعقل الذى لا يضل ، والبصيرة التى تنفذ الى الحق من حجب صفيقة ، وتهتدى اليه فى مسالك متشعبة .

نشأ احمد أمين نشأة أزهرية ، ونعنى بهذه النشأة مايلازمها من نمط خاص فى الحياة والتربية والدراسة والوجهة . ومن غريب هذه النشأة انها تساعد على الهبوط كما تساعد على الصعود . فتخرج من الأزهر اما قادة للشعب واما حملة عليه ، لأن حرية التعليم فيه كانت تهيء كل نفس لما خلقت له : فهذا تعده ليكون قارئا فى ضريح أو اماما فى زاوية ، وذاك تعده ليكون مستشارا فى محكمة أو أستاذا فى جامعة . وأخذ امين كمحمد عبده وسعد زغلول وطه حسين قد زوده الأزهر بخير مافيه من صبر على الدرس ، واتكاء على النفس ، واستقصاء لأطراف البحث ، ثم دفعه الى الحياة دفعا فاستكمل ثقافته فى مدرســـة القضاء ، ثم اشتغل بالتعليم ، ثم تولى الحكم بين الناس فى المحاكم الشرعية . ثم ثقف على نفسه اللغة الانجليزية ، ثم تبوأ كرسيه فى الجامعة المصرية ، وها هو ذا بكتابيه يحتل مكان الزعامة العلمية .

أن ألمع ماتى شخصية هذا الرجل متانة خلقه ، ولأمر ما شغف

منذ شب يتدريس « الأخلاق » . وترجمة « الأخلاق » . وتأليف « الأخلاق » ، ولسرما يتجدد انتخابه بالاجماع رئيسا للجنة التأليف والترجمة والنشر تسع عشرة مرة فى تسع عشرة سنة متوالية !!

.....

ان نجاح الأستاذ احمد امين فى الحياة نجاح للعلم وفوز للفضيلة ، لأنه لم يعتمد فى شهرته العلمية على الاعلان و (التهويش) . ولا فى مناصبه الحكومية على الاستذاذ والملق . وانما يجرى فى عمله على الاخلاص ، وفى معاملاته على الحق ، وفى علاقاته على الشرف . وما حياته الحافلة إلا مثل للحياة العاملة فى غير ضجيج ، الناصبة فى غير ملل ، المثمرة فى غير غرور ولا دعوى . فهى اشبه شىء بالنبع السلسال العذب ، يسيل حلو الخرير تحت شواجن الادغال ، وفوق مطمئن الأرض ، فيروى العطاش ويمرع السهول ، فى غير هدير ولا صخب !

ذلك هو الكاتب ، واما الكتاب فنرجو ان نوفق الى تحليله فى العدد المقبل .

ملكة الجمال

(بقية المنشور على صفحة ٤)

ولكن سلطان الجمال وان استعار ألقاب الملكية ، أحاط نفسه بألوان القوة وضروب الأبهة ، ضعيف نحيف ، قاتر قصير المدى كالجمال نفسه . فهو ملك ، ولكنه أشبه بالجمهورية ، وأى جمهورية ؟ أشبه بالجمهورية القديمة : جمهورية اليونان والرومان لا يدوم السلطان فيه لصاحبه أكثر من سنة . وهو ملك ، ولكنه لا يورث ، وانما يكسب بالانتخاب ، وأى انتخاب !! انتخاب ضيق محدود متأثر بالأغراض والاعراض السياسية فى كثير من الأحيان ، فيجب أن يكون ملك الجمال قسمة بين الشعوب تتبادل سلطانه فيما بينها ، تظفر به فرنسا ثم تمره الى بلجيكا ، وهذه تمره الى هولندا ، وعلى هذا النحو حتى يكون لكل شعب حظه من هذه السيادة العالمية البريئة . البريئة ؟ مسألة فيها نظر ! فهى سيادة بريئة بالقياس الى الشعوب والأقاليم والمدن والقرى ، ولكن براءتها تتعرض للشك والخطر فى كثير من الأحيان . ذلك أن هذا الملك الطارىء السريع الزوال يعبث برءوس الملكات وأسرهن . ومن طبيعة الملك أن يعبث بالرءوس الا اذا اعتمد على دستور صحيح متين . وليس لملك الجمال دستور . وملك الجمال لا يعبث برءوس الملكات وحدهن ، وانما يعبث برءوس كثير من الرعية أيضا ، من الشبان والشيوخ وأصحاب الملاعب والمراقص والسينما . ثم ملك الجمال فصيح على هذا العبث . فهو يجرى أقلام الكتاب فى الصحف ، ويطلق ألسنة السيدات فى الصالونات ، ويزيد هذا كله فى الدوار واضطراب العقول . لذلك لا تكاد ملكة ترقى الى عرش الجمال حتى يصح مصيرها بعد الخلع — أستغفر الله — بعد الاعتزال مشكوكا فيه . وأكبر الظن أنها صائرة الى ملعب من ملاعب اللهو ، أو ناد من أندية الرقص ، أو دار من دور السينما ، أو الى هذه جميعا .

فملك الجمال فى حاجة الى دستور يضمن للملكة الا يكون ارتقاؤها الى العرش وسيلة الى ابتذالها .

على ان ناحية اخرى من نواحى هذا العبث الذى يعبثه ملك الجمال بالعقول خليقة بالملاحظة . فملكات الجمال يؤمن بملكهن عادة ، ويصدقن انهن ملكات حقاً . وكثيرا ما تؤمن لهن الجماعة بهذا الملك ، فيصبح المزاح جداً واللعب حقا لاشك فيه . وينشأ عن هذا الجد الطارىء وعن هذه الحقيقة الاضافية الموقوتة التى لم يفكر فيها اينيشتين بعد ، لون من الحياة الذى يعبث هذه الابتسامات المترددة التى تحدثت عنها اول هذا الفصل .

انظر الى ملكة الجمال التى شرفت مصر بزيارتها هذه الايام لم تكد تهم بهذه الزيارة حتى سبقتها الانباء فطربنا واستشعرنا شيئا من الغبطة لاحد له وتفضلت صاحبة الجلالة الصحافة فقامت لزيلتها فى الملك بما يجب من الاعلان ونشر الدعوة . ثم وصلت ملكة الجمال فلم يكن بد لصاحبة الجلالة الجميلة من ان تتناول الشاى عند صاحبة الجلالة الفصيحة البليغة . وكانت دار الجهاد ملتقى الملكتين على مائدة صديقى توفيق دياب . وتفضلت الملكتان ملكة الجمال وملكة الكلام بشىء من العطف الغالى الكثير على طائفة من الرعية الموالية المفترنة ، وكنت ممن سهم هذا العطف . ولكن ملكة اخرى ثقيلة ممقوتة تبسط سلطانها الآثم على الناس فى الشتاء وهى صاحبة الجلالة البغيضة الانفلونزا حالت بينى وبين الاستمتاع بهذا العطف السامى من صاحبة الجلالة الجميلة وصاحبة الجلالة الفصيحة . فأسفت وما اشد ما اسفت !

وملكة الجمال ظريفة كما ينبغى ان تكون فلم ، تكد تصل الى مصر حتى ادت طائفة من الواجبات يفرضها عليها جلال الملك

وسياحة الخيال بدأت فتحدثا سمعيا في قصر الملكي العالي ثم تحدث فزارت رئيس الوزراء وذهبا فرغا من السلطة التنفيذية فعطفت على السلطة التشريعية فتعطفت بزيارة البرلمان. فأدى وكلاء الامة واجبهم بين يدي جلالتها كأحسن ما تكون التأدية

ثم لم تكد صاحبة الجلالة تفرغ من مصر الرسمية حتى تعطفت فتكرت في مصر المعارضة. والملك فوق الاحزاب فتعطفت بزيارة حضرة صاحب الدولة رئيس الوفد المصري ثم فكرت في مصر التي لا تشتغل بالسياسة وانما تشتغل بالاصلاح الاجتماعي والاقتصادي فتعطفت بزيارة حضرة صاحب السمو رئيسة الاتحاد النسائي وزارت دار الاتحاد وشهدت فيه التمثيل وزارت دور الصناعة والتجارة وهي في هذه الزيارات تؤدي لكل حقه مما فطرت عليه من جمال وظرف وأدب ورشاقة وخفة روح واذا جلالة أخرى رسمية تشرف مصر وهي الجلالة الايطالية فتقطع حديث الجمال وتبتدئ حديث السياسة. وليست هذه الصحيفة من السياسة في قليل ولا كثير. فلنكتف اذا بأن نرحب في صدق واخلاص بصاحبي الجلالة الايطالية ثم لنعد الى ملكة الجمال. فلنتمن لها التوفيق بعد الملك كما وفقت اثناء الملك ولنلتفت بعد ذلك الى القارىء الكريم فنصح له بأن يقرأ قصة تمثيلية بديعة أنشأها الكاتبان الفرنسيان جورج بيرولويس فريبل موضوعها ملكة الجمال وعنوانها (مس فرانس) فسيجد القارىء في هذه القصة جدا وهزلا وفكاهة وصراحة ولذة قوية على كل حال ؟

طه حسين

بعض الناس

(بقية المنشور على صفحة ٥)

وسكت الصديق ونظر الي نظرة جازعة لما يعلمه عني من القسوة في الحكم على مثل تلك العثرات. والعجب من أمري اني وجدتني أكثر محبة لهذا الصديق بعد أن قص علي قصته. وأشدقها لظروفه ووجدتني أرى عثرته مقالة. وزلته مغفورة ورحت أهون عليه الخطب وانلس السبيل لنهدئة أعصابه.

وخلوت لنفسي بعد ذلك وفكرت كيف يتغير حكمنا على الأشياء بتغير فاعليها. ليس منا من أمن العثار. وإذا وقانا الله شرها في أنفسنا فقد يعثر حميم نعزه. فلم تقل عثرات الأولياء وتلمس العذر لاخطاء أنفسنا ومن يحبهم ثم عسى في الحكم على من بعدت بيننا وبينهم الصلات ؟

علمني هذه الحادثة أن أقيل كل عاثر. وارحم كل خاطىء. وانظر الى كل زلات الناس على أنها أمراض تعالج بالرفق والعطف والرحمة

الفوائد والآلام أوهام

ليست الفوائد الا بعض خدع الطبيعة عرفنا بها على اداء وظائفها الحيوية ألست ترى أحدنا اذا مر وهو جائع بمقرنة من طعام وفاحت رائحته فسدت خياشيمه. أو لاحت صورة فرأتها عيناه سال لعابه وتحرق شوقا الى التهامه. حتى اذا ما ملأ منه معدته وأدى ما تتطلبه الطبيعة لحفظ الذات صدف عند كارهاو لم تثر فيه رائحته ومرآه شهوة.

وكذلك الحال في كل لذائذ الحس لا تبهر الا جائعا ولا تثير غير صادي. فاذا ارتوى منها زهد فيها.

ومثل اللذائذ الآلام فهي احساس خادع ينبه المحروم من اداء وظائفه الحيوية الى ادائها.

واحسبنا نستطيع بشيء من رياضة النفس والمران على حكم الأعصاب. أن نصل الى منزلة نغالب بها الى حد كبير خداع الطبيعة فلا نثير منا كثيراً لذائذ الحس وآلامه.

محمد عبد الواحد خلاف

إعتـــذار

حالت كثرة المواد بيننا وبين نشر النائيات والمسرحيات في هذا العدد والذي قبله فنعتذر مرة أخرى لحضرات الكتاب والقراء.

بيان

لا ترسل المجلة بعد هذا العدد الا لمن أدى بدل الاشتراك. ولا يقبل اشتراك مالم تدفع قيمته سلفاً.

....

لم يبق من العدد الأول الا نسخ معدودة احتفظنا بها للمشتركين فنرجو ألا يطلبه بالبريد غير مشترك.